



كنت في استراحة مع بعض الأصدقاء نتبادل الحديث عن تطورات الوضع في سوريا والتداعيات المرعية الحاصلة في أكثر من مدينة أبرزها الهجوم الوحشي والغوغائي على أكبر المدن فيها حلب واستباحة كل أحيائها وحرق «سوق المدينة» الشهيرة والمعروفة بقيمتها التراثية كونها أكبر وأقدم سوق مغطاة في التاريخ. وحجم الدمار الممارس من قبل النظام السوري بحق شعبه أدخله التاريخ الأسود متفوقاً على مجرمين بحجم هتلر وهولوكو.

ولكن هذه الاستراحة التي كنت، فيها سرعان ما طرح فيها أحدهم سؤالاً مهماً وهو: هل من الممكن أن ينتصر بشار الأسد ونظامه ويبقى في الحكم؟

وهو سؤال يبدو منطقياً ومشروعًا ولا بأس في الاستعانة في الإجابة عنه ببعض النماذج والأمثلة التي يوردها مؤيدوها نظرية أن بشار سيستمر في الحكم ولن يسقط.

فهناك من يستشهد بواقعة قمع صدام حسين للتمرد الشعبي الذي قام ضدّه في الجنوب العراقي وهناك من يستشهد بما فعله النظام في الجزائر ضدّ الحركات الأصولية السلفية المتطرفة التي واجهها لفترة طويلة وتكبّدت البلاد تكالفة من الخسائر المادية والبشرية لا يمكن الاستهانة بها أبداً، وهناك مثال السودان ومواجهته لمتمردي دارفور.. هذه أهم الأمثلة التي يرتج لها داعمو نظرية بقاء الأسد. والإجابة عن هذا السؤال أن كل هذه الأمثلة لم يكن بها هذا الكم من زهق الأرواح وهذا القدر من البطش والقوة من قبل النظام ولا هذا القدر من الرفض الدولي لاستمرار النظام والتلوّح بذلك بشكل علني.

يقول نظام بشار الأسد عبر أبوابه الإعلامية ومسؤوليه إن ما يحدث في سوريا هو نتاج «مؤامرة كونية» على البلاد ونظامه وذلك للقضاء على المقاومة والخلاص منها، وبما أن سوريا هي رأس الحرية للمقاومة فهي في وجه المدفع.

وطبعاً موضوع المقاومة هو كذبة مفضوحة كررها النظام عبر السنين فاقتناع بها وصدقها وبات يروج لها كالأسطوانة المشروخة.

ولكن الحقيقة التي لا تقبل الشك هي أن بقاء نظام الأسد سيكون تحييناً عملياً لأكبر مؤامرة دولية على سوريا لأن هذا النظام تجاوز بجرائم الممكن والمعقول واخترق بجرائم الحدود وغيرها بات مسؤولاً عن سلسلة لا حد لها من الاغتيالات والاضطرابات وأصبح رحيله مطلباً أخلاقياً في المقام الأول لا بد منه لأن الشرائع السماوية والأنظمة البشرية لم تعد تقبل ولا تطيق استمراره ولكن يبدو أن «دوره» لم ينته بعد وأن «بقاءه» مطلوب حتى الآن ولكن العنصر الغائب غير المحسوب في كل ما يطرح الآن هو الشعب السوري الذي خرج من القمم وأنهار الدماء التي سالت والأرواح التي قبضت، هذه الكمية من الأرقام لا عودة عنها وما تم شرخه لا يمكن إصلاحه فكيف بما تم كسره وتدمره.

حجم الجرائم التي اقترفها نظام الأسد ضد شعبه لم يقم بعمله أحد، وهو تطبيق عمليًّاً أرعن متواحش للشعار المرفوع منذ اليوم الأول «إما الأسد أو نحرق البلد» فلم تبق قيمة لروح بشر أو لذكرى حجر.. إنها روح الهمجية الوحشية لإنسان الغاب والغريزة الدموية الموجودة في البشر إذا فقدوا الصواب، وهو يفسر حرفياً ما يقترفه نظام الأسد في شعبه اليوم، فلم يعد من المجدى التذكير بواقعة أو بمجزرة أو بمذبحة أو بحريق أو بدمار، فمن الواضح أن كل هذه الأحداث هي فكرة ونية ورغبة هذا النظام الفاقد للوعي وللأخلاق والمرءة والدين، فلا يردعه طفل يبكي أو شيخ يذبح أو امرأة تحرق.

سوريا ستعيش وكذلك الشعب السوري الأصيل النبيل.

نظام الأسد سيرحل كما يستحق ولكن يبقى عذاب الضمير لمن لم يجرؤ على قول كلمة الحق ومناصرة الحق بأي وسيلة ممكنة، ووقتها لن يكون هناك مكان للندم ولا لآهات الحزن. تذكروا جيداً.. لا يوجد أقدر من نظام بشار الأسد إلا من يؤيده ويبير له وأن كل من يقوم بذلك أو حتى يصمت عن انتقاده إنما هو شريك في كل قطرة دم بريئة وشريفة سالت على أرض سوريا الجميلة.

الأسد راحل لأننا تربينا على أن الباطل دوماً زهوق حين يأتي الحق. وساعة الحق أزفت في سوريا!

المصدر: الشرق الأوسط

المصادر: